ترجمة أدب الأطفال بين الأمانة تجاه النص الأصلي و الوفاء للقارئ المُستقبل

قلّو ياسمين - جامعة الجزائر 2

الملخص:

تمثل نظريات الترجمة مقاربة جديدة فيما يخص دراسة أدب الطفل فتشرح دور الترجمات في ظل النظام الأدبي المتعدد من خلال نظرية الأنظمة المتعددة لتوري Toury و تبرز الضغوطات الكامنة بين الانتاجات الأصلية و الترجمات مركزة على استراتيجيات التمييع و استراتيجيات التهجين. يهدف المقال التالي الى شرح الاستراتيجيات الأساسية المستعملة في ترجمة أدب الأطفال و مسار القرارات المتتالية و المتشابكة التي يتخذها المترجم نظرا لما يحوط بالنص (السياق) و ما يحوط به أي اعتقاداته الشخصية و ايديولوجيته و كذلك قابلية القارئ الناشئ على الاستيعاب و التلقي.

يستهل البحث بشرح خصوصية النص الأدبي الموجه للأطفال لينتقل و يبرز أهمية تطبيق نظرية الأنظمة المتعددة لتوري في دراسة أدب الطفل و ترجماته ليتساءل بعد ذلك اذا ما كان مترجم أدب الطفل كاتبا يقوم باعادة الكتابة و ابداع آخر غير ابداع الكاتب الأصلي ثم ينتهي بابراز مكانة ترجمات أدب الطفل و أهميتها على الأصعدة السياسية و الاجتماعية مقدما في هذا الصدد بعض النماذج.

Abstract : Translation theories like the polysystem theory provide useful entry points for the investigation of children literature as well as they underline the role translations play in the literary polysystem. Through the polysystem theory tensions are put under light, like the tension between original productions and translations, between using the strategy of domestication or foreignization.

This paper aims at explaining the main strategies and the decision making process of the translator regarding what is around the text (the context) and what is around the translator himself (his ideology) and the reception capability of the young reader. It explains the peculiarities of children literature, asks whether the translator of children literature is a re-writer then it gives some examples of the political and social importance of children literature specifically when it is translated.

اشكالية **ترجمة أدب الاطفال** تنبع أولا من صعوبة تصنيف هذا النوع من الأدب فهو على اختلاف الأنواع الأخرى من الأدب يجد ميزته ليس في أسلوبه و طبيعة لغته فحسب بل في متلقيه أي الطفل. و يعرف على أنه جنس خاص من الأدب على العديد من المستويات1

1. المعجمي: المخزون اللغوي للمتلقي محدود و قريب من الدارجة
2. النحوي: جمل بسيطة، متوسطة الطول
3. الأسلوبي: سلس متماسك (التناظر الجمالي)-المسألة الجمالية (التعادل الأسلوبي)
4. التركيبي: وهو مستوى بالغ الأهمية حتى أنه يمثل محورا أساسيا في نقد و تقييم ترجمات أدب الأطفال.
5. البلاغة في أدب الأطفال تختلف عن البلاغة في أدب الكبار
6. الرصانة الدلالية و النصية و التكافؤ الجمالي و الأسلوبي مع الأعمال الأصلية.

و أكثر الميزات التي تفرقه عن باقي الاداب تكمن في طبيعة متلقيه فهو على اختلاف الأجناس الأخرى من الأدب لا يصنف تبعا لنوايا مؤلفيه أو طبيعة النص نفسه بل تبعا لقرائه

مقارنة مع الأدب المكتوب خصيصا للراشدين يبدو أن أدب الأطفال يميل لكونه موجها مباشرة لقرائه و إن هذا لبالغ الأهمية، فبالنسبة إلي يعد أساس الترجمة للأطفال و الذي أعتقد أنه ينبغي أن تحدد معالمه تبعا لقراء الترجمات. 2

يعرف أدب الأطفال اذا على أنه الأدب الموجه الى الطفل و لكن هل "مغامرات أليس في بلاد العجائب" لكارول لويس كتاب للأطفال أو خيال للكبار؟ على الرغم من أنه كان موجها للأطفال الا أنه أصبح على المستوى العالمي نصا يقرأ من الطرف الراشد و الطفل معا. في هذه الحالة، هل هو كتاب للأطفال أو كتاب للكبار؟ وينبغي ترجمته للأطفال أو الكبار؟

كما حدث العكس مع "جونتان سويفت" في :" رحلات جاليفر" الذي كان موجها للبالغين الا أنه أضحى كتابا للطفل بعد ادخال التعديلات المناسبة على الأصل.

ان إ**شكالية ترجمة أدب الطفل** لا تتوقف عند طبيعة النص نفسه فقط بل تتعدى ذلك لأن الاشكالية تبتدئ أولا عند صعوبة تصنيف أدب الأطفال قبل التفكير في ترجمته، ثم طبيعة متلقيه الذي يستدعي أخذ الحيطة و الحذر في نقل بعض المفاهيم التي قد لا يكون المتلقي الصغير مهيئا لتلقيها، ثم هناك إشكالية الاستراتيجيات التي تنتهج في الترجمة. فإضافة الى غرض الكاتب هناك هدف المترجم الذي يتغير حسب رؤيته للمجتمع و قناعاته الخاصة.

إن المترجم مجرد قارئ يسعى إلى فرض تجربة قراءته الخاصة على النص المترجم كما هو الحال بالنسبة لكاتب النص الأصلي، ويتعرض هذا الأخير إلى قيود عديدة تبدأ بكيفية تصويره أو تصويرها للطفل، ونظرة المجتمع للطفل والطفولة ، وكذا أذواق الوالدين ، ومتطلبات الناشرين . باختصار، يعتبر المترجم جزء من حوار تكون الكلمات من دونه خالية من المعنى .3

نظرا للمعرفة الناقصة ، والقدرة اللغوية المحدودة لدى القراء الأطفال، غالبا ما تواجه المترجمين صعوبات كبيرة وتحديات في ترجمة أدب الأطفال ، ولذلك يفضل الناشرون في العالم العربي الاقتصار على ترجمة ما يسمى بأدب الأطفال الكلاسيكي، وأكثر الترجمات تخص القصة القصيرة. ففي اعتقاد الناشر أن العمل الأدبي الناجح في اللغة الأصل يكون بالضرورة ناجحا في اللغة الهدف، و عند الجمهور المستهدف، ولكن يفضل ترجمة ما يستحق الترجمة من الأعمال الأدبية. و كما يقول أحد الباحثين في قضايا ترجمة أدب الأطفال :"عندما يتجاوز العمل الأدبي حدوده اللغوية و الحضارية، يتغير مستقبلوه ، ويصبح بذلك في وضع استقبالي جديد قد ينجح فيه أو يفشل، لأن لمستقبلي الترجمة أفقا فكريا وسيكولوجيا وجماليا قد يختلف بصورة ج ذرية عن أفق مستقبلي هذا العمل في لغة المصدر" 4

ترتكز الترجمة أساسا على مسألة فهم النص ، وخلفيته الثقافية ، وتقرير الصيغ اللغوية الملموسة التي ينبغي استعمالها فيه، وتتضمن بدورها التناسق و الأسلوب و الإيديولوجية 5.

يتوجب الاشارة هنا الى أن كتب الأطفال المترجمة الى العربية تخلو - مع الأسف - من أي تقديم نقدي يعرّف القراء الصغار وذويهم الكبار بالمؤلفين الأجانب ، وبالمجتمعات والحضارات التي ينتمون اليها.

يمكن الافتراض أنه عند ترجمة أدب الأطفال الذي يتحلى بطابع ثقافي محلي، يجد المترجمون أنفسهم أمام مشاكل ترجمية متعلقة بثقافة محدودة الآفاق ، ويحتارون أمام الاستراتيجية التي يتوجب عليهم انتهاجها خلال الترجمة . هل يبقون النص في صفته ونكهته الأصلية فيبدو عندئذ نصا هجينا في اللغة المستقبلة، أم أنهم يتصرفون في ه حتى يصبح في قالب يتماشى وأصول الكتابة للأطفال في الثقافة المستقبلة ، فلا يظهر للقارئ بصفة نص مترجم ، بل في شكل نص أصيل؟ إن ظهور " **نظرية الانظمة المتعددة"** خلال السبعينيات من القرن الماضي، وإدماج مفاهيمها في علم الترجمة (قواعد الترجمة، وكلاء السلطة، الأيديولوجية) قد أدت بعلم الترجمة الى أفق جديد.

في ضوء نظرية الأنظمة الم تعددة التي شكلت المنعطف الثقافي في الدراسات الترجمية ينبغي النظر إلى الترجمة على أنها نقل ثقافي ، أي في نطاق أوسع من السياق اللغوي. ليست الترجمة نقلا لمجموعة من الكلمات والجمل بين لغتين، ولكنها تمثل رمزا للسياق الثقافي . ويبدو أن مكانة ترجمة أدب الأطفال ضمن نظرية الأنظمة المتعددة تختلف باختلاف تلقي النص ، و الأهمية التي يكتسبها في الثقافةالمستقبلة، فإذا لم تتلق استقبالا واسعا، و لم تحظ بدراسات نقدية فإنها تصبح هامشية، و تحتل مرتبة ثانوية في نظرية الأنظمة المتعددة. أما اذا حظيت بتلقٍّ واسع و أثارت الآراء المتعددة، و كانت محط دراسات ، فإنها تجد نفسها في صميم الأنظمة المتعددة، بمعنى آخر، تتوقف مكانتها على كيفية استقبالها في اللغة الهدف.

أشار ايفن زوهار Even Zohar(1990: 131) الى مكانة أدب الأطفال فقال: يحتل أدب الأطفال مكانة سطحية وثانوية في النظام الأدبي المتعدد ، مما يعني أنه من النادر أن يساهم أدب الأطفال في تشكيل أساس هذا الأخير، كما لا يتم الاعتراف بسجلاته 6.

أما توري Toury فيقترح ضمن نظرية الأنظمة المتعددة ثلاث فئات من معايير الترجمة هي : القاعدة الأولية، والقواعد البدائية، والقواعد التنفيذية. 7 . فالقاعدة الأولية تحدد ما إذا كان ينبغي أن تميل الترجمة نحو معايير النص المصدر أو معايير النص الهدف. ويمكن اعتبار الاختيار بين هذين الاتجاهين بمثل السعي وراء ترجمة تحقق "التكافؤ" L'équivalence أو أخرى تحقق "المقبولية" L'acceptabilité ، حسب مصطلحات توري. و يمكن النظر إلى استراتيجيات الترجمة على أنها تطبيق فعلي لمعايير فعالة يعتمدها المترجم أثناء عملية الترجمة 8.

أما كريستيان نورد (Nord) فتقترح أن تكون ترجمة أدب الأطفال دوما أمينة للثقافة الهدف ، و ليس للنص الأصلي. تقول: "لاسيما إذا تعلق الأمر بالأطفال ، فمن المهم أن يفضل المترجم تحقيق الأمانة إزاء قراء النص الهدف، عوضا عن الوفاء للنص الأصلي"9.

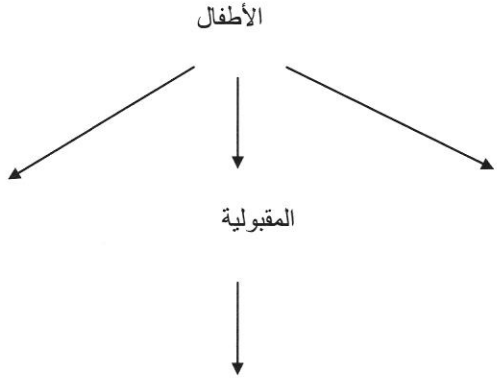

تنمية رؤى الطفل

وتطوير أدب الأطفال

أدب الطفل و مفاهيم نظرية الأنظمة المتعددة (توري 1995)

إن الدراسة الحالية في المناهج النظرية للترجمة قد أكدت أنه لا يكفي مجرد التركيز على المشكلات اللغوية، بل ينبغي الأخ ذ بعين الاعتبار وظيفة النص، والقواعد والمعايير التي يفرضها النص المترجم، و التي قد تتغير بتغير العديد من العوامل.

يتفاوض ويتصرف ويتلاعب المترجمون بالنص الأصلي ، خلال قيامهم بعملية الترجمة للأطفال، قصد توسيع و شرح الرسالة لقراء النص الهدف 10.

يرى ايفن زوهار (1990) العمل الترجم ي على أنه مفهوم سميائي ، ويتم من خلال مسار الترجمة نقل النماذج النصية في نظام لغوي ما إلى نظام لغوي آخر. أما توري (1995) في تعريفه للترجمة باعتبارها ظاهرة ثقافية ، فيؤكد أن السعي الدائم وراء المقبولية يؤثر على القرارات التي يتخذها المترجم، الذي يلعب في هذا السياق دورا اجتماعيا وثقافيا مهما ، حتى أنه يقوم أحيانا بـ "تطهير" النص المترجم ، لكي يستوعبه الطفل القارئ في اللغة المستقبلة. فعلى سبيل المثال : تحكم استراتيجيات الترجمة معايير مختلفة ترفع من قيم، وتشمل قيما معينة ، بمعنى أننا عندما نكون بصدد مناقشة عملية الترجمة، الترجمة للأطفال بشكل خاص ، فإنه يتعين علينا أن نفكر مليا في هذه المسائل ، كالتلاعب، و دور المترجم ، والسلطة، والمترجم، دون أن ننسى المعايير و القيم، أي ينبغي أن نتأمل أخلاقيات الترجمة 11.

تطرح ترجمة أدب الأطفال قضايا عديدة ، لأنها ليست عملا لغويا فحسب ، حيث تستدعي لغة الصورة. كيف للمترجم أن يتعامل مع المعلومة المرئية ؟ لا يمكن أن يكون المترجم ضد التيار الاجتماعي وينقل أفكارا لا تتماشى وسياسة المجتمع والمدرسة في تربية الطفل ، خاصة في المجتمعات العربية التي تفضل أن تحافظ على تقاليدها، وتستبعد الطفل عن أي مشاهد قد لا يكون مهيئا نفسيا لتلقيها. " تطغى على ترجمة أدب الأطفال في العالم العربي الأخلاقيات والتعليمية والايديولوجية ، على الرغم من وجود نية تغيير حقيقية لدى المترجمين و الكتاب"12.

استراتيجيات ترجمة أدب الأطفال :

يقول شافيت Schavit(1981) عن ترجمة أدب الأطفال : "يتمتع المترجم بقدر كبير من الحرية إزاء النص، وهذا راجع إلى المكانة السطحية التي يحتلها أدب الأطفال في النظام الأدبي المتعدد"13.

فيما يلي نقترح بعض استراتيجيات ترجمة أدب الأطفال ، التي تعددت أشكالها، وهذا وفقا لما ورد في نظريات الترجمة المعاصرة:

1. **استعمال لغة حية مثيرة للاهتمام:** عبر استعمال عبارات و كلمات مختلفة.
2. **استعمال كلمات بسيطة و مألوفة:** على المترجم استعمال أبسط لغة ممكنة تتماشى وقدرة استيعاب الطفل.
3. **استعمال جمل مبشرة:** يستعمل المترجم جملا بسيطة و قصيرة لكي لا يمل الطفل القراءة.
4. **استعمال الكلمات البسيطة التعبير التي تعكس حالة ومشاعر الشخصيات.** هذه الكلمات تضفي طابعا من الحيوية على النص فيقبل الأطفال الصغار على قراءته.
5. **استعمال الكلمات التي تحاكي الأصوات وتعكس طبيعة التعبير الطفولي.**
6. **النقل الثقافي:** هناك استراتيجيتان في ترجمة كل ما هو منحاز ثقافيا من الكلمات والعبارات و الأفكار:

أ. **استراتيجية التهجين:** نحافظ فيها على غرابة النص في الترجمة فيتعرف القارئ على الثقافة الأصلية للنص.

ب. **استراتيجية التمييع:** تكون الترجمة متطابقة ومتوافقة مع أصول الكتابة وثقافة اللغة المستقبلة، إذ عادة ما يلجأ المترجمون الى استراتيجية التمييع لكي يتسنى للأطفال فهم النص من دون جهود فكرية فيستمتعون بالقراءة.

قد تستعمل في بعض الأحيان **الترجمة الحرفية** التي ترافقها ملاحظات فتثري ثقافة القارئ الطفل ببعض من الثقافة الأجنبية.

المترجم كاتبا؟

الترجمة عبارة عن تواصل ثقافي بين مجتمعات وتقاليد اجتماعية مختلفة ، في الوقت الذي ترى فيه بعض المجتمعات الترجمة خطر ا على ثقافتها ، لذا تتميز ترجمة أدب الأطفال بكونها إعادة كتابة أكثر منها ترجمة، لأنها لا تكون أمينة ، نظرا للمزالق التي تسببها الأمانة في بعض الأحيان. و غالبا ما تكون نقطة انطلاق مفهوم الترجمة للأطفال أن الترجمة عبارة عن إعادة تأليف لجمهور مختلف في أزمنة وأماكن و ثقافات مختلفة 14، إذ تقتضي كل عملية ترجمة نسبة معينة من التلاعب بالنص الأصلي لغرض معين (هرمينز 1985). وفي هذا الصدد يؤكد (أندري لوفيفر) أن المقتبسين خائن ون لكنهم ، وفي الغالب ليسوا على دراية بذلك ، وليس لهم بالكاد الاختيار 15 .

يلعب أدب الأطفال دورا بيداغوجيا حساسا ، نلمسه في الخيارات الترجمية التي يقوم بها المترجم، فيتساءل هذا الأخير عن الأفكار التي يريد أن يفرضها على القارئ الطفل، أي رؤية

للعالم يريده أن يتفطن لها. والمترجم مسؤول **أخلاقيا** أمام قارئ يستطيع استيعاب جميع الأفكار التي تطرح أمامه في لغة بسيطة.

تكمن المشكلة إذ ن، في أساس معرفة المترجم وإيديولوجيته كشخص ، تحفزه طاقة النص ، فهذه هي إذن مشكلة التفسير في الترجمة للأطفال 16.

نماذج عن الاستراتيجيات المنتهجة في ترجمة أدب الأطفال

سبعون بالمائة من أدب الأطفال في سوريا مترجم من الفرنسية و الانجليزية و الألمانية ، الشيء الذي يعكس علاقات الهيمنة وعدم التكافؤ السائدة في العلاقات الثقافية الدولية، التي تمثل العلاقات الأدبية بين الشعوب جزء أساسيا منها ، ولا تمثل ترجمة أدب الأطفال إلا عملا عرضيا جانبيا، ونادرا ما يتخصص المترجمون في هذا النوع من الأدب. وغالبا ما يترجمون القصة القصيرة، وما يترجم من أدب الأطفال ينتمي عادة الى ما يسمى بأدب الأطفال الكلاسيكي.

أكثر الاستراتيجيات استعمالا في العالم العربي: **الاقتباس** الذي يعرف على أنه:

"إعادة صياغة العمل الأدبي الأجنبي من قبل المقتبس ، بغرض إعطائه منحى فكريا جديدا، أو إكسابه على مستوى الأسلوب والشخصيات والمعمارية وغيرها من الجوانب الفنية الأخرى ، شكلا جديدا يسهل استقباله في زمن معين، أو بلاد مع نية من قبل جمهور معين" 17. وهدف الاقتباس يتمثل في "نزع الطابع الأجنبي عن الترجمة، و إكسابها طابعا محليا وطنيا.

لا تمثل هذه إلا نبذة موجزة عن حقيقة ترجمة أدب الأطفال في الوطن العربي، التي تجلت في المراجع المعاصرة النادرة مقارنة بنظائرها الأجنبية . و نصل من خلال قراءاتنا هذه إلى أن الاستراتيجية المستعملة هي في غالب الأحيان استراتيجية التمييع ، أي أن المترجم يسعى إلى وضع ترجمة تتماشى و طبيعة الثقافة العربية المستقبلة.

ويختلف مسار ترجمة أدب الأطفال من بلد الى آخر ، كما يختلف من ثقافة الى أخرى ، فعلى سبيل المثال نجد بلدا مثل الصين ، يماشي ترجماته لأدب الأطفال مع سياساته الداخلية ، ونظرته لمجتمعه، ودرجة الوعي الذي يود أن يكتسبه ويكسبه لأجياله الصاعدة . وقد مرت ترجمة أدب الأطفال في الصين بأربع مراحل هي :

1.مرحلة بداية الحكم الجمهوري في الصين: تمثل فيها هدف ترجمة أدب الأطفال في تحقيق نهضة الرواية الصينية، ولم تكن الترجمة إلا وسيلة لتحقيق الاصلاحات في المجتمع ، وتميزت بالترجمة الحرفية بالنسبة لبعض الأعمال، وكانت غير أمينة في بعضها الآخر.

2.في المرحلة السياسية التي تلت ، هدفت الترجمة لخدمة الأطفال بنشر العلم والحب والجمال، والتعبير عن سعي المثقفين لتعزيز النزاهة في المجتمع، والتعبير عن الطبيعة .

و كنتيجة لمفهوم المجتمع للطفولة، يعد أدب الأطفال على عكس أدب الراشدين، وسيلة مهمة لتحقيق أهداف معينة لتعليم الأطفال ، ولهذا السبب كان المترجمون، خلال عملية الترجمة يقومون عادة بالتلاعب بالنص الأصلي إلى حد معين، بغرض خدمة أهداف مختلفة 18.

3. مرحلة الحرب ضد اليابان: أدت ترجمات أدب الأطفال آنذاك الى فهم العادات والتقاليد الصينية، وطورت أسلوب أدب الأطفال، و تأثرت بالأدب الروسي .

4. بعد سنة 1976 ، أصبحت الترجمات موجهة للأطفال بغض النظر عن الأهداف البيداغوجية و التربوية التي يرسمها الكبار.

5. بعد سنة 1980 : تميزت استراتيجية الترجمة بالتهجين وانفتاح المجال للترجمة من جميع اللغات الأجنبية.

نرى من خلال المثالين السابقين أن لترجمة أدب الأطفال علاقة وطيدة بتقدم حضارة شعب ما، و قدرته ا على استيعاب المفاهيم الجديدة عبر محورتها في قالب يوافي الثقافة المستهدفة ، ويتجلى من خلالهما كذلك، أنه يتوجب التعامل مع ترجمة أدب الأطفال بحذر ، فقد تكون الآثار وخيمة على تكوين شخصية الطفل ، ولكن اذا تم انتقاء النصوص المناسبة وترجمتها ترجمة تحترم وتتوافق و أصول الثقافة المستهدفة ، فإنها ستمثل سلاحا تنهض به الأمة على أساس متين ومن خلال توعية فكرية شاملة. و يستطيع المترجمون إذا تم اختيارهم بدقة أن يقوموا بترجمات على نحو مناسب ، وأن يعطوا فرصة جيدة للأطفال في التعرف على الثقافات الأجنبية وتوسيع دائرة معارفهم. 19.

الهوامش:

1 عبده عبود،2005

2 أويتينن ، 2000، ص 78

3 ميتا meta، *XLVIII، 1و2، 2003، ص 208*

4 عبده، ص 207

5 meta ، XLVIII، 1 و 2، 2003، ص 220

6 أيفن زوهار، Even Zohar، 1990، ص 131

7توري Toury، 1995، ص57

8توري Toury، 1995، ص97

Target، 2002، العدد 14، ص 02

10 Ibid، 2005، العدد 17، ص 01

11[1] O'Connell، 2003، ص 199

[1] Meta XLVIII, 1-2, 2003*I*، *2003، 1 و 2، ص200*

13 وردت في يوزانغ Yu Zhang، 2011

14 م.Meta XLVIII, 1-2, 2003 ، ص *208*

15 .Meta XLVIII, 1-2, 2003 ، ص *208 و 209*

16[1] Meta XLVIII, 1-2, 2003. ، ص *214*

17 عبده، ص 210

18 يو زنغ Yu Zhang ،ص 251

19 يو زنغ Yu Zhang ، ص 253

المراجع باللغة العربية:

عبده عبود، أدب الأطفال المترجم في سورية، مقال في هجرة النصوص: دراسات في الترجمة الأدبية و التبادل الثقافي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005,

المراجع باللغة الأجنبية:

Morar, Olgar. Children literature in translations. Comparative literature studies. Scientific Journal of Humanistic Studies. Year 01, N01, 29-34.

O'Connell, Eithne. Minority language dubbing for children: Screen translation from German to Irish. Oxford, European University Studies, Series XL.

Oittinen, Ritta. (2000). Translating for Children. London, GBR: Garland Science Publishing, 2000.

When-chun, Liang, Perspectives Studies in Translatology, Vol 15,, No 2, 2007.

Zhang, Yu. (2011) . On the translation of children literature. Journal of Language Teaching and Research. N01, pp251-254. Academy Publisher. Finland.

المجلات العلمية المحكمة:

Perspectives, Vol 15, N 02, 2007.
Meta XLVIII, 1-2, 2003.
Targert 17:1 (2005).
Target (14:2).